مشروع الإصلاح يبدأ من الآن

إنَّ الغاية من البلاء هي التضرع لله والرجوع إليه، وقد ذمَّ الله قوماً ابتُلوا فما تضرَّعوا، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:76].

في الأمة ذنوبٌ عامة يجاهر بها الناس، وفتورٌ أصبح طبعاً عند الكثيرين، والواجب على الدعاة أن ينطلقوا من الآن ليحثُّوا الناس على طاعة ربهم، والتوبة من الذنوب، والتحلل من المظالم، فلقد نال الصحابةوسام وشرف التوبة بعد آخر الغزوات ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:117].

المجاهرة بالغناء الماجن والرقص والحفلات الليلية، وغير ذلك يجب علينا التوبة من كل هذه الكبائر التي تُنزل النِّقم، قال بعض العلماء: «كُلُّ بَلْدَةٍ يَكُونُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ فَأَهْلُهَا مَعْصُومُونَ مِنَ الْبَلَاءِ: إِمَامٌ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ، وَعَالِمٌ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى، وَمَشَايِخُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَرِّضُونَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وَنِسَاؤُهُمْ مَسْتُورَاتٌ لَا يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»[1].

وينبغي البدء من الآن فالقلوب مُهيَّأةٌ، والموتُ واعظٌ، والدنيا مُدبرةٌ، والآخرة مقبلة، إنَّنا إذا عدنا في مجتمعاتنا إلى ما كنا عليه من مجاهرة بالذنوب، فما زادنا البلاء إلا بلادة، وعلى العاقل أن يعلم أنَّ الذنوب سببٌ لغضب الرحمن، وشعار المرحلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم: 3]، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31].

(1) تفسير القرطبي (49/4).